الفجر

العدد الحادي عشر / رجب ١٤٣٥/ أيار ٢٠١٤

أحكام الهدنة والموادعة
محمد عادل فارس
5

بين الإسلام والديموقراطية
حسن أبوزيد
8

لا صلاح مع الفوضى .. ولا سَراة مع الجهل
عبد الله عيسى السلامة
7

فتاوى
هل موالاة الكفار كفر بإطلاق؟
هيئة الشام الإسلامية
13

الفجر

العدد الحادي عشر / رجب ١٤٣٥/ أيار ٢٠١٤

مجلة شهرية تصدر عن
مكتب الشباب في جماعة الإخوان المسلمين
في سورية

تصفح الفجر
www.alfajrmg.net

تواصل مع الفجر
alfajr.mg@gmail.com

الافتتاحية 3

أحكام الهدنة والموادعة
محمد عادل فارس 5

لا صلاح مع الفوضى .. ولا سَراة مع الجهل
عبد الله عيسى السلامة 7

بين الإسلام والديموقراطية
حسن أبوزيد 8

لله أم لعبد الله
د. سلمان بن فهد العودة 11

فتاوى
هل موالاة الكفار كفر بإطلاق؟
هيئة الشام الإسلامية 13

فضيلة الشيخ محمد هشام البرهاني
مجد مكي 18

قصة: هل سيأتون الليلة؟
جميل قدري 22

فيسبوك 31

فريق التحرير

حسام غضبان — رئيس التحرير
د. عامر غضبان — محرر
عمار الضايع — محرر
أسامة السيد عمر — محرر

عبد الكريم اليماني — محرر
أحمد يحيى الطويل — محرر
أسامة الشيدون — الطباعة والتوزيع
منى السعيد — التسويق الإلكتروني

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

بقي بشار رئيساً أو سقط ما دورنا نحن؟

مع استمرار صبر شعبنا السوري ومقاومته، ومع استمرار المؤامرة على الثورة ووضوحها، يقترب موعد ما يسميه النظام في سورية: انتخابات الرئاسة، التي نتوقع أن يُعاد فيها تنصيب بشار الأسد رئيساً!!

لا شك أن استمرار النظام ووصوله لهذا اليوم، يوم إعادة التنصيب، سيعتبره النظام نصراً له، وقد تعتبره بعض قوى المقاومة انتكاساً للثورة، ومُؤشِّراً على تراجعها، أو ضعفها، أو قصورها، أو عجزها....

ومع الضجيج الإعلامي الذي سيرافق هذا الحدث قد يبدو أن هذا اليوم هو الذي سيحسم نتيجة الصراع، ويُحدِّدُ اتجاهه المستقبلي.

ودعونا نسأل – بعيداً عن الضجيج الإعلامي-: لو سقط بشار الأسد، هل يعني ذلك تحقق أهداف الثورة، وحصول آمال الذين كانوا شرارتها الأولى، والذين قَدَّموا لنصرتها من أنفسهم وأبنائهم وأموالهم، والذين ساندوها لأنهم رأوها أملاً لنهضة الأمة وتحرر إرادتها؟

إنَّ استمرار الأحداث حتى هذه المرحلة قد أَكَّدَ لكل عاقل مُستبصِر أنَّ معركتنا ليست لإحداث تغيير – أي تغيير – في النظام القائم، إنها معركة بناء الوطن ونهضة الأمة، وإن غاب هذا البعد عن بعضنا بسبب تأثره بالحدث وتداعياته، فإنه سيكون بارزاً واضحاً في كل موقف مراجعة وتقييم لاتجاهات وتركزات الجهود والفعاليات والتحركات التي قامت على أكتاف أفراد هذا المجتمع السوري وقياداته ونخبه ومُؤسَّساته.

نحن نعلم ونُقرُّ أن إعاة تنصيب الظالم رئيساً، ومناداة الخائن بألقاب الأمانة وصفات القيادة، سيُؤذي أصحاب الحق الذين يعرفون الخائن من الأمين، حتى في زمان تخوين الأمين وائتمان الخائن، وسيشعر أنصار الظالم الخائن بقوةٍ وعزيمة، وقد يكون هذا الحدث انتقالاً لمرحلةٍ جديدة... لكن يُستبعد أن تكون هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة التي يُحسم فيها هذا الصراع.

وهذا يقودنا للسؤال: ما دورنا في هذه المرحلة القادمة؟ وهو سؤالٌ كبير يستحقُّ البحث والاجتهاد المُستبصِر العملي، لكن من الواضح أنَّ في المرحلة القادمة جهوداً مطلوبةً في ميادين الإصلاح الفكري كما في ميادين النشاط العملي في التخصصات المختلفة. أي: يجب أن نسعى لاستمرار مقاومة الظلم، كما نسعى لبناء وتمكين المجتمع المقاوم، وتوجيه هذا المجتمع لينطلق مستنداً إلى معرفته بحقه، وليستمر مع استمرار استعداده لإقامة ميزان القسط والعدل، وتجنب الطغيان في الميزان.

تظهر التجربة السابقة أو تُؤكِّدُ أن شعبنا أحبَّ ثورته. وصارت هذه الثورة جزءاً من هويته، أو من تاريخه، وحتى لو أُجهضت الثورة أو سُرِقت

ستبقى في ذاكرة الشعب مصدراً يستلم منه توجهاته القادمة. ومهما اختلفت رؤى الأفراد والتجمعات حول الكثير من تفاصيل الثورة وأحداثها، ستبقى الثورة محوراً في التفكير الجمعي تستمد منه الأمة نظرتها عن ذاتها، وتوجهاتها العامة في إصلاح واقعها والنهوض بنفسها.

وسيكون علينا نحن – أصحاب الفكر ودعاة التوجيه- أن نعي هذا الأمر، وسيكون من واجباتنا استخلاص عِبَر التاريخ، واستشراف توجهات المستقبل، وتحديد أولويات العمل.

قد يحسب الكثيرون أن المجتمع سيعود للاستسلام والركون للظالمين، وستتوقَّفُ الحركة فيه، لكن هذا الظنَّ خاطئ، سواء ظنَّه النظام أو ظنناه نحن، وإذا توقَّفنا عن بناء الفكر وترسيخ قيم الحق والعدل فهذا قرارنا الخاص، وليس بالضرورة انعكاساً لما توجَّه نحوه المجتمع.

ولا بد للنخب والقادة والباحثين في المرحلة القادمة أن يُؤسِّسوا لفكرِ مراجعةِ التجربة، وأن يبحثوا في أسسِ العمل القادم الذي يجب أن يتجاوز أخطاء المراحل السابقة أو معظمها، فهذا البحث مهم في معرفة أمورٍ أساسية في فكر الأمة ورؤيتها عن نفسها وإمكاناتها، إنَّه يتعلَّقُ بأسئلة كبيرة مثل: من نحن؟ وماذا نملك؟ وماذا نريد؟...

أحكام الهدنة والموادعة

فصل منقول من بحث: خلاصة في فقه الجهاد

إعداد: محمد عادل فارس
مراجعة: مجموعة من العلماء

يسمى هذا الباب في كتب الفقه: الموادعة. والهدنة هي مصالحة أهل الحرب على ترك القتال معهم إلى أجل مسمى مقابل عوض أو غيره.

وإجابة العدو إذا دعا إلى الصلح مقيد بولي الأمر للمسلمين، فإن رأى فيه مصلحة أجاب، لقوله تعالى: {وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم} [سورة الأنفال: ٦١].

حُكْم الهدنة:

يُشترط في الهدنة أن تكون في مصلحة المسلمين، كأن يكونوا في حال ضعف والكفار أقوياء، لأن الموادعة: ترك القتال. فلا تجوز إلا في حالٍ يكون فيها وسيلة إلى القتال أو تحقيقاً للغرض الذي شُرع الجهاد لأجله، فالمصلحة كما تتحقق في حال ضعفنا تتحقق بأغراض أخرى كرجاء إسلام الكفار، أو عقد الذمة، أو التعاون معهم لدفع عدوان غيرهم، أو لإقرار السلام وتبادل المنافع الاقتصادية ونحوها. قال تعالى: {فلا تَهِنوا وتدْعوا إلى السلم وأنتم الأعلَون والله معكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم} [سورة محمد: ٣٥].

وقد وادع النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة عام الحديبية على إنهاء الحرب عشر سنين.

صفة عقد الهدنة:

يرى الحنفية أن الهدنة عقدٌ لازمٌ محتمِلٌ للنقض، فللإمام أن ينبِذَ عهد الكفار إليهم كلما رأى في النبذ مصلحة للمسلمين، لقوله تعالى: {وإما تخافنَّ من قوم خيانةً فانبِذْ إليهم على سواء} [سورة الأنفال: ٥٨]. والسواء: المساواة والاعتدال، ومعنى الآية: حتى يستوي علمك وعلمهم بما عليه كل من الفريقين، فإذا بلغهم الخبر جاز بدؤهم بالقتال.

ولا بد من النبذ تحرزاً عن الغدر، ولا بد من اعتبار مدة يبلغ خبر النبذ إلى جميعهم. ولا ينبذ إليهم إن بدؤوا بخيانة باتفاقهم، لأنهم صاروا ناقضين للعهد، فلا حاجة إلى نقضه أو نبذه. أما إن نقض جماعة منهم العهد، فإن كان نقضهم بإذن ملكهم صاروا ناقضين للعهد لأنه باتفاقهم معنى.

وقرر جمهور الفقهاء أن الهدنة عقد لازم لا يجوز نقضه إلا إذا وجدت خيانة أو غدر من العدو بقيام أمارات تدل على ذلك، وإلا فيجب الوفاء لهم بالعهد كما هو مقتضى آية النبذ السابق ذكرها: {وإما تخافن من قوم..}.

وتنتقض الهدنة إذا نقضها العدو بقتال، أو بمناصرة عدو آخر، أو قتل مسلم، أو التجسس على المسلمين.

وقد تكون الهدنة واجبة كما في الأحوال الآتية:

1 إذا طلبها العدو مع وجوب الحذر والاستعداد.

يقول الله تعالى: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله} [سورة الأنفال: ٦١].

وصالح أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً، ولا يدخلها بجُلُبّان السلاح، ولا يخرج بأحد من أهلها، ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه. (وجلبان السلاح جراب يوضع فيه السيف وأدوات القتال).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "اكتب الشرط بيننا: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فأمر علياً أن يمحو كلمة "رسول الله" فقال: لا والله لا أمحوها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرِني مكانها" فأراه مكانها فمحاها وكتب "ابن عبد الله"، فأقام بها ثلاثة أيام. فلما كان اليوم الثالث، قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك فمُرْهُ فليخرج. فأخبره بذلك فقال: "نعم". فخرج. رواه مسلم.

2 وتجب الهدنة في الأشهر الحرم، فإنه لا يحل فيها البدء بالقتال (على خلاف بين الفقهاء في هذا) والأشهر الحرم هي: ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، ورجب.

ولكن إذا بدأ العدو القتال في هذه الأشهر فإنه يجب حينئذ الرد عليه ومقاتلته دفعاً للاعتداء، كما يباح فيها القتال إذا كانت الحرب قائمة ودخلت هذه الأشهر ولم يستجب العدو لقبول الهدنة فيها.

قال تعالى: {يسألونكَ عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه، قل: قتالٌ فيه كبير...} [سورة البقرة: ٢١٧].

مدة الهدنة:

مدة الهدنة عند الشافعية أربعة أشهر فما فوقها إلى ما دون سنة في الأظهَر، لقوله تعالى: {براءةٌ من اللهِ ورسولِهِ إلى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر...} [سورة التوبة: ١، ٢]. ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم هادن صفوان بن أمية أربعة أشهر عام الفتح. ولا تزيد المدة على سنة لأنها مدة تجب فيها الجزية.

وظاهر كلام الإمام أحمد في مدة الهدنة هو: إذا كان بالمسلمين ضعف فيجوز لعشر سنين فقط فما دونها بحسب الحاجة، لأن هذا غاية مدة الهدنة، ولأنه صلى الله عليه وسلم هادن قريشاً هذه المدة على المعتمد. فإن لم يقوَ المسلمون طوال تلك المدة فلا بأس أن يجدد الإمامُ مدةً مثلها أو دونها.

وقال الحنفية والمالكية والزيدية: ليس للهدنة مدة معينة، وإنما تقدير الهدنة راجع إلى اجتهاد الإمام وقدر الحاجة.

لا صلاح مع الفوضى .. ولا سَراة مع الجهل

عبد الله عيسى السلامة

قال الشاعر:

لا يَصلح الناسُ فَوضَى ، لا سَراةَ لهمْ

ولا سَراةَ إذا جهّالهمْ سادُوا

هذا البيت من أحكم ما قالت العرب، في سياسة الأمم، وقيادة الدول والشعوب والقبائل، والتجمعّات البشرية عامّة!

فإذا كان قد ورد في الحديث الشريف: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدَهم" [أخرجه أبو داود] فكيف يكون الحال إزاء آلاف البشر، بل مئات الآلاف، بل ملايين الناس.. إذا كانوا بلا قائد ولا أمير!؟ ومعلوم أن السَّراة في بيت الشعر الوارد أعلاه، هم رؤوس الناس وسادتهم، الذين يقودونهم ويوجهونهم.

كيف يكون حال الناس، إذا عمل كل منهم على هواه، وبما يراه مناسباً لمصلحته، دون الاكتراث بحقوق الآخرين وحرياتهم ومصالحهم.. وتباينت الأهواء، وتضاربت المصالح، وتضادّت الآراء والأفكار!؟ لاشكّ أن الحياة تنقلب إلى غابة بشرية، يستحيل العيش فيها كما تعيش مخلوقات الغابة المحكومة بقوانين وسنن وضعها الله لها، ووجّه كلاً منها بما يلائم طبيعته.

وإذا كانت الفوضى مدمّرة للمجتمعات البشرية، فإن ثمّة نظاماً لا يقل عنها تدميراً، هو حُكم الجَهلة!

ففي الشطر الثاني من البيت بيان رائع لحقيقتين:

الأولى: هي أن الجهلة لا يَصلحون رؤوساً للناس، سادةً، أو قادةً، أو زعماء، أو موجّهين لحركة المجتمع وضابطين لسلوك الناس.. بسبب جهلهم! وبسبب جهلهم أيضاً، يعجزون عن معرفة الخير والشرّ، والخطأ والصواب .. كما يعجزون عن التمييز بين معالي الأمور وسفاسفها، وبين ما هو هيّن وما هو خطير. وبالجملة، فإن الجهلة يعجزون عن إدارة حياة الناس، في حربهم وسلمهم، وفي حلّهم وترحالهم..

الحقيقة الثانية: هي أن وجود الجهلة على رؤوس الناس، يمنع من أن يأخذ القادة الحقيقيون المؤهّلون أماكنهم في قيادة الناس، فيهتمّ كل من هؤلاء المؤهّلين الأكفياء بشؤون نفسه وأسرته، أو يغادر المجتمع الذي يقوده الجهلة، إلى مكان آخر يحسّ فيه بالأمان، بعيداً عن تسلّط الجهلة! وفي كل الاحوال، تخلو ساحة القيادة من السَّراة، لأن الجهلة ليسوا سَراة، ولا يمكن أن يكونوا كذلك، هذا من ناحية، ولأنهم من ناحية ثانية، يعيقون السَّراة الحقيقيين عن الوصول إلى مواقع القيادة والتوجيه، فتضيع الجماعة التي يقودونها، سواء أكانت قبيلة، أم حزباً، أم دولة!

بين الإسلام والديموقراطية

حسن أبو زيد

كثيراً ما تمّت المقارنات بين الإسلام والديموقراطية، سواء من حيث المطابقة والاختلاف, أو من حيث الأصلح والأكمل والأفضل.. وهذه مقارنات لا تأتي بخير أبداً, فما بُنِيَ على باطل فهو باطل, والمقارنة بين الإسلام والديموقراطية مقارنة باطلة فاسدة, فالإسلام دين تعبّد ومنهج حياة, منهج قائم على العدل المطلق وعلى العلم المطلق, العلم بحقيقة الكائن الإنساني وحاجاته وحقيقة الكون الذي نعيش فيه, وهذا لا يتوافر للمناهج البشريّة التي تخبّطت بين نظريّات لم تتأكد فاعليّتها, فهو أشمل وأكمل وأوسع وأعمّ من الديموقراطية التي تقدّم حلّاً لمشكلة جزئيّة، "مشكلة الحكم والتداول والتّعبير عن الرّأي".

ومن هذا المنطلق فالمقارنة بين الجزئي والكلّي, بين المحدود واللّامحدود, بين المقيّد النّسبي والمطلق, بين المخصّص الضيّق والعام.. مقارنة متهافتة غير علميّة.

ولكن يمكننا النّظر ودراسة العلاقة بين الديموقراطية والشّورى كأحد أهم محدّدات نظام الحكم في الإسلام.

فالشّورى "الائتمار المشترك" هي فلسفة نظام الحكم والاجتماع في الفكر الإسلامي السياسي, فقضاء الله وأمره هو سيادة وحاكميّة إلهيّة, أما قضاء الناس وأمرهم فهو شورى بينهم فيما لم يرد به نصٌّ قطعيّ الثّبوت والدّلالة, وفي معرض المقارنة بين الشّورى والدّيموقراطيّة نرى كثيراً من الباحثين ذهبوا إلى القول بالتّطابق الكلّيّ بين الشورى والديموقراطية, وقسم آخر رأى افتراقاً كلّيّاً بينهما, وبين الرأيين برز الاتجاه الثالث الذي أميل إليه، والذي يقول بوجود مساحة للتطابق والاتفاق ومساحة للتغاير والاختلاف, ولعلّ الجزئيّة الأبرز في الاختلاف بينهما تتجلّى بإشكالية "السيادة الابتدائية في التشريع", فالديموقراطية تزعم أنّها للشعب صراحة, أو ضمناً عبر اعتناق فكر القانون الطبيعي, فالتشريع عائد للإنسان في الديموقراطية, أما في الشورى الإسلامية فالتشريع لله سبحانه، وهو ليس حقاً بشريّاً ولا طبيعياً، ومن ثمّ فإن للإنسان سلطة البناء على هذه الشريعة الإلهية، والتفصيل لها، والتقنين لأصولها، والتفريع لكلياتها، وكذلك لهذا الإنسان سلطة الاجتهاد فيما لم ينزل به شرع سماوي

شريطة أن تظل "السلطة البشرية" محكومة بإطار الحلال والحرام الشرعي، أي محكومة بإطار فلسفة الإسلام فى التشريع, فخلافة الإنسان عن الله في أمره وتدبيره محكوم بإطار "أمر الله وتدبيره" التي هي حاكمية الله وشريعته الإلهيّة كما يقول الدكتور محمد عمارة, فهنا نلاحظ الاختلاف الرئيسي بين الديموقراطية والشورى, كما نلحظه في المقاصد والغايات , فنرى أن الديموقراطية فكرة وضعية تستهدف تحقيق النفع وإصلاح الدنيا, وذلك بالمقاييس الدنيوية المحضة لهذا الإصلاح, أما الشورى فهي فريضة إلهية تربط بين صلاح الدنيا والآخرة، فتقيس الصلاح الدنيوي بعدّاد قيميّ مرتبط بالآخرة، مما يصلح النيّات ويعظّم الخيرات ويضبط المقاصد.

ويظهر هذا الفرق جليّاً عند المقارنة الجزئية ما بين الشورى والديموقراطية, ولنأخذ – على سبيل المثال لا الحصر - قضية الفصل بين السلطات، فهي في الشورى الإسلامية تؤتي أُكُلها وتثمر نظاماً فاعلاً نزيهاً, فقد كان للعلماء والفقهاء قراءتهم للنص الشرعي عبر المواءمة بين فقه النص وفقه الواقع لإنزال الأول على الثاني بما يُعرَفُ اصطلاحا بالاجتهاد, وهو روح التشريع ومبدأ التّقنين والذي كان مستقلّاً تماماً عن السلطة التنفيذية ومؤسسة الحكم التي كانت تُنتَخَب وتُراقَب وتُحاسَب بكلّ شفافيّة ونزاهة وحرّيّة ممّن اصطُلِحَ على تسميتهم بـ "أهل الحلّ والعقد" من الفضلاء والعلماء والأمراء والوجهاء, أما في الديموقراطية الغربية فقد آلت فيها سلطة التشريع للبرلمان الذي يشكّل الحزبُ الحاكمُ فيه العصبَ الرئيسي والكثرةَ الكاثرةَ المتحكّمةَ بصناعة القرار في المطبخ التشريعي (بالأخصّ في الأنظمة البرلمانية), وهي بذلك تنحاز انحيازاً واضحاً للسلطة التنفيذيّة التي يتولّاها ذلك الحزب الحاكم, فصارت استقلالية السلطات منقوصة، وأضحى الفصل بينها اسميّاً وصوريّاً أكثر منه فعليّاً!!

الخاتمة:

لا شك أن النظام الديموقراطي في الحكم ليس واحداً في العالم اليوم, فهناك أشكال عديدة له، كالديموقراطية المباشرة, وغير المباشرة "التمثيلية النيابية", وهذه كذلك تتفرع للديموقراطية البرلمانية والديموقراطية الرئاسية والمختلطة, وهناك البرلمانية الملكية..كما نرى الديموقراطية الليبرالية وغير الليبرالية...إلخ

وكل دولة من دول الغرب المتقدّم قد اتّخذت لها شكلاً ونظاماً سياسياً للحكم يناسبها، ويقوم جوهريّاً على الدّيموقراطية، إلا أنه قد يتقارب أو يتباعد مع غيره من الديموقراطيات الأخرى في التفريعات والأشكال والتقسيمات الجزئية.

إلا أن ما تناوله هذا البحث هو جوهر الديموقراطية عموماً، بدون التطرّق لدراسة أشكال النظم السياسية الديموقراطية ومقارنتها, وهذه الأسطر تحاول بحث إمكانيّة الاستفادة مما لا ضرر فيه ولا محظور, فنحن لسنا مقيّدين بصورة واحدة للديموقراطية, ولا بشكل وصيغة مقولبة جاهزة, ونستطيع أخذ ما يلائمنا ويلبي حاجتنا ويراعي خصوصيتنا الثقافية والحضارية والشرعية, وينهض بواقعنا إلى الأفضل, بل إن هذا الأخذ قد يتعدى مجرّد كونه جائزاً إلى أن يصير في خانة الضروريات والحاجيات, فأمّتنا بحاجة إلى نهضة شاملة في كل مناحي العمران "بمصطلح ابن خلدون", نهضة تقوم على ثنائية لا انفكاك بينها:

الثبات في المبادئ, والمرونة في الأساليب..

ولعله من المناسب أن أختم بما كتبه المستشار الشهيد عبد القادر عودة رحمه الله في كتابه القيم: "التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي" حيث يقول:

"إن النظام الديموقراطي يقوم في الأصل على الشورى والتعاون، ولكنه انتهى بسوء التطبيق إلى تسليط المحكومين على الحاكمين، وانعدام التعاون بينهما، وإن النظام الديكتاتوري يقوم في الأصل على السمع والطاعة والثقة بين الحاكمين والمحكومين، ولكنه انتهى بسوء التطبيق إلى تسليط الحاكمين على المحكومين وانعدام الثقة بينهما. أما النظام الإسلامي فيقوم على الشورى والتعاون في مرحلة الاستشارة، وعلى السمع والطاعة والثقة في مرحلة التنفيذ، ولا تسمح قواعده بتسليط فريق على فريق، وبهذا جمع النظام الإسلامي بين ما ينسب إلى الديموقراطية من فضائل، وما ينسب إلى الديكتاتورية من مزايا ومحاسن، ثم هو في الوقت نفسه بريء من العيوب التي تنسب للديموقراطية والديكتاتورية معاً".

والله تعالى أعلم وأحكم.

لله أم لعبد الله ؟

د. سلمان بن فهد العودة

نقلاً من موقع "الإسلام اليوم"

روى أحمد وابن خزيمة والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.. الرياء». وقد جوَّد إسناده المنذري في "الترغيب"، وصحح إسناده ابن مفلح في "الآداب الشرعية"، وأورده الألباني في "الصحيحة".

لا حرج أن يفرح المؤمن بثناء الناس عليه، وإنما الرياء ما كانت النية فيه لغير الله، بحيث لو كان المرء وحده لم يعمل.

والرياء أبواب:

١- الرياء بالإيمان: وهو النفاق، بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

٢- الرياء بالجسد: بإظهار ما ينم عن الاجتهاد في العبادة، وتكلف ظهور بقعة في الجبهة مثلًا، أو يبس في الشفتين من أثر الصيام، ومثل طأطأة الرأس في المشي، أو تشعيث الشعر كعلامة للزهد.

٣- الرياء بالقول: وهو التسميع «مَن سمَّع سمَّع الله به». (متفق عليه). كالنطق بالحكم والآثار والمواعظ لإظهار العناية بأحوال الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر والهمس بحرف السين في حضرة الناس ليقال: ذاكر مستغفر.

٤- الرياء بالعمل: كإطالة القيام والركوع والسجود والتظاهر بالخشوع.

٥- الرياء بالمكانة: كالذي يتكلف أن يطلب زيارة العلماء وأهل الفضل والصلاح ليقال: إنه منهم.

والمدار هنا على الدافع الأساسي للعمل.

وأصل الرياء هو حب الثناء والحمد من الناس، وكراهية الذم منهم، والطمع فيما في أيديهم.

والعارض أثناء العبادة من ذلك لا يضر ولا يفسد العبادة.

وبعضهم يترك العمل خوفًا من أن يكون رياءً، وهذا الآخر خطأ ومجاراة للشيطان، ودعوة إلى البطالة وترك الخير، فما دام الدافع الأصلي صحيحًا فلا يترك العمل لخاطر الرياء، ولذلك قال الفضيل بن عياض «العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما».

طالبٌ في حداثة سنه يتعجل الفُتيا، ويقعد للتدريس، ويظهر التوقر، ويعز عليه أن يقول: لا أعرف، ويتقمص شخصية الكبار فيقول: عندي، والذي يظهر لي، ويغلب على ظني، والذي تطمئن إليه النفس!

ويندفع للرد على غيره، والتنبيه المفرط على أخطاء الآخرين، وكأنهم بلا صوابات، على أنه لا يتقبل نقدهم أو تخطئتهم له.

آخَرُ يلهيه فرض الكفاية عن فرض العين، ويطيل الوقوف عند الفرعيات التي قد لا يحتاجها الناس إلا في النادر

ولا يتكلم في مسائل الإخلاص والأخلاق والبر (انظر مختصر منهاج القاصدين)، وما ذاك إلا لأن اهتمامات العامة تدور حولها.

ثالث يفرح بالجدل وكثرة الكلام، ويتهيأ للمناظرة، ويعلن المباهلة عند أول احتكاك، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، وغالب ما يحدث في المناظرة هو استعراض معرفي ولغوي، وسعي لإفحام الخصم وإقحامه وإظهار عجزه وتناقضه أو فساد معتقده.

حين يسمع بعض الحق من خصمه يضيق صدره، وسرعان ما يضع العراقيل أمامه لعله يتراجع، فإن رآه مصرًا قال: أنت الآن ترجع إلى قولي ومذهبي وطريقتي، وكأنه وضع سورًا على الحق لا يدخل أحد إلا بواسطته ومن طريقه، وبعد التفتيش في هويته!

وغالب المناظرة تعبر عن مصداق الخبر النبوي «الشح المطاع، والهوى المتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه». (أخرجه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن غريب).

قيل لأحد الصالحين: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟

قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق.

الولع بالغرائب والعجائب والبحث عن المهجور من الأقوال، وكأنه ينشر سننًا قد طويت، أو يحيي شرائع قد أميتت، وقد حذر أهل العلم من «الطبوليات»، وهي المسائل الشاذة الغريبة التي تضرب لها الطبول (حلية طالب العلم لأبي زيد).

وأحيانًا على النقيض: موافقة السائد، والدفاع المستميت عنه ليتبوأ منصبًا قياديًّا لدى من حوله، ولو كان هذا السائد مخالفًا للشريعة، أو قولًا ضعيفًا.

التكثر بالأتباع وحشدهم وإشاعة العصبية بينهم، وإقامة الجدران العازلة تحت ذريعة الولاء والبراء في مسائل جانبية وخلافية وفرعية.

قال الذهبي «أنت ظالم وترى أنك مظلوم، آكل للحرام وترى أنك متورع، وفاسق تعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله!» (سير أعلام النبلاء).

سمع الإمام أحمد أبا داود صاحب السنن يقول: هذا شيء وضعته لله، يعني تأليف كتابه «سنن أبي داود». فقال له: أما لله فشديد، ولكن قل: شيء حبب إلي فعملته!

وفي بعض الروايات أن الإمام أحمد قال هذا عن نفسه، كما يدل عليه كلام ابن تيمية «مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه».

مراقبة الدوافع من أدق معاني الصدق.

هل موالاة الكفار كفر بإطلاق؟

إعداد: المكتب العلمي بهيئة الشام الإسلامية

السؤال :

ينتشر بين بعض الكتائب، وفي المجالس، وعلى صفحات الشبكة بصورها المختلفة إطلاق القول بتكفير من يوالي الكفار، ومنهم من ينقل الإجماع على ذلك. فهل هذا الكلام صحيح؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسولِ الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فموالاة الكفار من الجرائم الكبيرة، وهي لفظ يطلق على شُعب متعددة، منها ما يصل للكفر، ومنها ما هو دون ذلك، وتفصيله كما يلي:

أولاً: تُطلقُ الموالاةُ والولاية في اللّغةِ وكلامِ أهل العلم على معانٍ عديدة، منها: القُرب، والدُّنوّ، والمحبة، والنُّصرة، والمتابعة، ويدلّ كلامُ أهلُ العلم على أنّ هذه الأفعال منشؤها المحبةُ والميلُ القلبي.

قال ابن تيمية –رحمه الله- في " الفتاوى": "أصلُ الموالاةِ هي المحبةُ، كما أنّ أصلَ المعاداةِ البغضُ، فإنَّ التّحابَّ يوجبُ التّقاربَ والاتّفاقَ، والتّباغض يوجب التّباعدَ والاختلافَ".

وينشأ عن الحب والبغض مِن أعمال القلوب والجوارح ما يدخلُ في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنُّصرة والمعاونة، والمظاهرة، وغير ذلك مِن الأعمال.

وقد حرّم الله موالاة الكافرين وزجر عنها، وجعلها سبباً لسخط الرحمن، فقال تعالى: {تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ} [المائدة:٨٠].

ثانيًا: لا يصح التكفير بمطلق الموالاة، فمن صور الموالاة ما هو كفر مخرج من الملة بالاتفاق، ومنها ما لا يصل إلى درجة الكفر، ومنها ما اختلف فيه: هل يكون كفرًا أم لا؟

وهذا التفريق جار على أصول أهل السنة، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية، وفهم علماء الأمة.

ومن الصور التي تناولها أهل العلم في هذا الباب:

أ- اتفق أهلُ العلم على أنّ الموالاةَ التامة الكاملة للكفّار بالرّضى عن دينهم، أو تصحيح مذهبهم، أو حبِّ ظهورِ الكفر على الإسلام، ونحو ذلك، مِن موجبات الرّدة والخروج مِن الملة.

قال الإمام الطبري –رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران:٢٨]:" لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينِهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم؛ فإنه مَن يفعل ذلك، فليس مِن الله في شيء، يعني بذلك: فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر".

وقال الماوردي –رحمه الله- في "تفسيره": "والثاني: موالاتهم في الدّين فإنه منهم في حكم الكفر، وهذا قول ابن عباس".

وقال ابن الجوزي –رحمه الله- في "زاد المسير": "مَن يتولهم في الدّين، فإنه مِنهم في الكفر".

وقال الشّنقيطي –رحمه الله- في "أضواء البيان": "وَيُفْهَمُ مِن ظواهرِ هذِه الآياتِ أَنَّ مَنْ تَولّى الكُفّارَ عَمْدًا اختيارًا، رَغْبَةً فِيهم أَنَّهُ كافرٌ مِثْلُهُم".

ب- ذهب عامة العلماء إلى أنّ التجسّس للكفّار على المسلمين مِن الكبائر والمعاصي التي لا تُخرج مِن الملة، مع أن الله سماه في كتابه موالاة بقوله: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة:١].

وقد استدلوا لذلك بحديث حاطب رضي الله عنه - المتفق عليه- حينما كاتب قريشاً بمسير النّبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: "يا حاطبُ ما حملك على ما صنعتَ ؟"، فذكر حاطبُ - رضي الله عنه - أنه لم يفعله كفراً ولا ارتداداً عن الإسلام،وإنما فعله ليكون له يدٌ عندَ قريشٍ يدفعُ بها عن أهلِه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد صدقكم"، وفي لفظ: "ولا تقولوا له إلا خيراً".

قال الإمام الشافعي – رحمه الله - في "الأم": "وليس الدِّلالةُ على عورةِ مُسلمٍ، ولا تأييدُ كافرٍ بِأَن يُحَذِّرَ أَنَّ الْمُسلمينَ يُريدونَ مِنهُ غِرَّةً لِيحذرَها، أو يتقدَّمَ فِي نِكايةِ المسلمينَ بِكُفْرٍ بَيِّنٍ".

وقال ابنُ بطّال – رحمه الله - في "شرح البخاري": "وفيه: أنّ الجاسوس قد يكون مؤمنًا، وليس تجسسُه مما يُخرجه مِن الإيمان".

وذكر نحو هذا المعنى ابنُ حجر، والعيني، والقسطلاني - رحمهم الله - في شروحهم على البخاري.

وقال ابنُ العربي في "أحكام القرآن"، والقرطبي في "تفسيره": "مَنْ كَثُرَ تَطَلُّعُهُ على عَوراتِ المسلمينَ، ويُنَبِّهُ عليهِم، ويُعَرِّفُ عَدُوَّهُم بِأَخْبارِهِمْ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ كافِرًا إِذَا كَانَ فَعَلَهُ لِغَرَضٍ دُنيويّ، واعتقادُهُ على ذلكَ سَليمٌ، كَما فَعَلَ حاطِبٌ حِينَ قَصَدَ بِذلكَ اتِّخاذَ اليدِ، ولم ينو الرّدة عن الدّين".

وقال النّووي –رحمه الله- في "شرح مسلم": "وفيه أنّ الجاسوسَ وغيرَه مِن أصحاب الذّنوب الكبائر لا يكْفرون بذلك، وهذا الجنس كبيرةٌ قطعاً؛ لأنه يتضمن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كبيرةٌ بلا شك".

وقال ابن تيمية – رحمه الله - في "الفتاوى": "وقد تحصلُ للرّجل موادتهم لرحمٍ أو حاجةٍ فتكون ذنباً ينقص به إيمانه

ولا يكون به كافراً، كما حصل مِن حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيه {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}".

وقال ابن القيم –رحمه الله- في "زاد المعاد" في فوائد قصة الفتح: "وفِيها: جَوازُ قَتْلِ الجاسوسِ وَإِنْ كانَ مُسْلِمًا.. وَفِيها: أَنَّ الكبيرَةَ العَظِيمَةَ مِمّا دُونَ الشِّرْكِ قَدْ تُكَفَّرُ بِالحسَنَةِ الكبيرةِ الماحيةِ، كما وَقَعَ الجَسُّ مِنْ حاطب مُكَفَّرًا بِشُهودِهِ بَدرًا".

ولا نعلمُ أحداً مِن أهل العلم نصَّ على كفرِ الجاسوس المسلم بمجرد الجسّ، بل نصّ الإمامُ الشافعي على أنّ الخلافَ في تكفيره غيرُ معتبر، فإنه بعدما بيّن أنّ التّجسسَ بأنواعِه ليس بكُفرٍ بيّنٍ سُئل: " أقلتَ هذا خبراً أم قياساً؟ قال: قلتُه بما لا يسع مسلماً عَلِمَه عندي أنْ يخالفَه بالسنّة المنصوصة بعد الاستدلال بالكتاب".

جـ - وقع الخلافُ بين أهل العلم في حكم مناصرة الكفار وإعانتهم في حربهم على المسلمين بالنّفس أو المال أو الرأي أو غير ذلك، إذا لم تكن موالاةً تامّةً، ولا حباً لدينهم، وذلك على اتجاهين:

الاتجاه الأول: أنَّ مجرد مناصرة الكفار على المسلمين مِن موجبات الردة والخروج من الملة؛ لأنّ ظاهر القرآن الكريم يدلّ على كفر مَن يبذل الموالاة للكافرين، بالأعمال الظاهرة مِن النصرة والإعانة والمظاهرة:

قال الطبري في تفسر قوله تعالى: {ومَنْ يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم}:" فَإِنَّ مَن تولَّاهُمْ ونَصرهُم عَلى المؤْمِنِينَ, فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهم ومِلَّتِهم ؛ فَإِنَّهُ لا يَتولّى مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وما هُوَ عَلَيهِ راضٍ, وَإِذا رَضِيَهُ ورضيَ دِينهُ فَقَدْ عادَى ما خالَفَهُ وسخِطَهُ , وصارَ حُكمُهُ حُكمَهُ".

وقال الجصّاص: "وَإِنْ كانَ الْخِطابُ لِلمُسْلِمِينَ فَهُوَ إخبارٌ بِأَنَّهُ كافرٌ مِثْلُهُم بِمُوالاتِهِ إيّاهُمْ".

وقال ابنُ حزم –رحمه الله- في "المحلى": "وَصَحَّ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} إنَّمَا هُوَ عَلى ظاهرِهِ بِأَنَّهُ كافِرٌ مِن جُملَةِ الْكُفّارِ فَقَطْ - وهذا حَقٌّ لا يَختلفُ فِيه اثنانِ مِن المسلمينَ".

وقال العز بن عبد السلام –رحمه الله- في "تفسيره": "{فَإِنَّهُ مِنْهُم} مثلُهم في الكفر، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما".

وقال الشيخ أحمد شاكر –رحمه الله- في بيان حكم التعاون مع الإنجليز والفرنسيين أثناء عدوانهم على المسلمين: "أما التعاونُ مع الإنجليز, بأيّ نوعٍ مِن أنواع التّعاون

قلّ أو كثر, فهو الردّة الجامحة، والكفر الصّراح, لا يُقبل فيه اعتذارٌ, ولا ينفع معه تأوّل, ولا ينجي مِن حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء, ولا مجاملة هي النفاق, سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء".

الاتجاه الثاني: أنّ موالاة الكفار ومعاونتهم على المسلمين لا تكون كفراً بمجرد الفعل ما لم يصاحبها رضى بدينهم، أو تصحيح مذهبهم، أو حبُّ ظهورِ الكفر على الإسلام، ونحو ذلك.

قال السعدي –رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة: ٩]: " إن الظّلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليا تاما كان ذلك كفراً مخرجاً عن الإسلام، وتحت ذلك مِن المراتب ما هو غليظٌ وما هو دونه ".

وقال: "لأنّ التولي التّام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرّج شيئاً فشيئاً، حتى يكون العبدُ منهم".

وقال ابن عاشور –رحمه الله- في "التحرير والتنوير" عن قوله تعالى {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ}: "وقَد تَأَوَّلَهَا الْمُفَسِّرُونَ بِأَحَدِ تَأوِيلَينِ: إِمّا بِحَمْلِ الولايَةِ فِي قَولِهِ: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ} عَلى الوَلايَةِ الكامِلَةِ الّتي هِيَ الرّضى بِدِينِهِم، وَالطَّعْنُ فِي دِينِ الإِسلَامِ، ..وَإِمّا بِتَأوِيلِ قَولِهِ: {فَإِنَّهُ مِنْهُم}عَلَى التَّشْبِيهِ البَلِيغِ، أَيْ فَهُوَ كَواحِدٍ مِنْهُم فِي استحقاقِ العذابِ....

وَقَدِ اتَّفَقَ عُلَماءُ السُّنَّةِ على أَنَّ ما دُونُ الرِّضا بِالكُفْرِ، ومُمالَأَتِهِم عَلَيهِ مِن الوَلايةِ لا يُوجِبُ الخرُوجَ مِن الرِّبقَةِ الْإِسلَامِيَّةِ، وَلكنَّهُ ضَلالٌ عَظيمٌ، وَهُوَ مَراتبُ فِي القُوَّةِ بحَسَبِ قُوَّةِ الموَالاةِ، وَبِاختِلافِ أَحوالِ المسلِمِينَ".

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في "الدرر السنية": "ثانيًا: موالاة خاصة، وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نية الكفر والرّدة كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة في إفشاء سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو مكة كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة".

وقال: "مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة، منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات".

واستدل أصحاب هذا الاتجاه أيضا بما سبق تقريرهُ من عدم تكفير الجاسوس المسلم بمجرد جَسّه، مع أنّ التجسسَ لصالح الكفار على المسلمين مِن أعلى درجات الإعانة، وقد سمّاه الله موالاةً في كتابه.

وقال ابن تيمية فيمَن يقاتل المسلمين مع التتار: "وأيضاً لا يقاتل معهم غير مكرهٍ إلا فاسقٌ، أو مبتدعٌ، أو زنديقٌ".

وقال: "وكلّ مَن قفز إليهم مِن أمراء العسكر وغير الأمراء فحكمُه حكمُهم، وفيهم مِن الردّة عن شرائع الإسلام بقدْرِ ما ارتدَّ عنه مِن شرائع الإسلام".

وقال أبو حيان الأندلسي –رحمه الله- في "البحر المحيط": "وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ بِأَفْعَالِهِ دُونَ مُعْتَقَدِهِ وَلَا إِخْلَالٍ بِإِيمَانٍ فَهُوَ مِنْهُمْ فِي الْمَقْتِ وَالْمَذَمَّةِ، وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ فِي الْمُعْتَقَدِ فَهُوَ مِنْهُمْ فِي الْكُفْرِ" .

ثالثًا: ما سبق تقريرُه مِن التّكفير ببعض صور الموالاة إنما هو في التّكفير المطلَق، وبيانِ أنّ هذا الفعلَ مِن المكفرات وموجبات الرّدة، وأما الحكمُ على معين بالكفر والردّة بإطلاق، فلا يجوز؛ إذ لا بدّ مِن توافر الشروط وانتفاء الموانع، كما هي قاعدة أهل السنة والجماعة في باب التكفير، خلافًا لأهل الغلو.

كما دلّت النصوص وأقوال العلماء على اعتبار الإكراه والتأويل عذراً شرعياً في باب الموالاة يمنع لحوقَ الوعيد، فلا يكْفُرُ مَن كان مع الكفّار في صفِّهم وهو مكرَهٌ، أو متأوّل.

فعن أم سلمة رضي الله عنها، عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه ذكر الجيشَ الذي يُخسف بهم، فقالت أم سلمة: "لعلّ فيهم المكرَه!"، قال: (إنهم يُبعثون على نيّاتهم) رواه الترمذي وابن ماجه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: "فكيف بمَن كان كارهاً ؟!".

وعند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: "وفِيهِم أَسواقُهم، ومَن ليسَ مِنْهُم" .

فدلّت هذه الأحاديثُ على أن الذين يخرجون للقتال في صفوف العدو متفاوتون، وفيهم المجبور، وفيهم الكاره، وفيهم المستبصر، وهم مختلفون في الحكم، ويبعثون على نيّاتهم فالأمرُ راجعٌ إلى النِّيَّةِ.

قال ابن تيمية في "الفتاوى": "وليس لأحد أنْ يكفر أحداً مِن المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة".

وقال: "إذا كان المسلمُ متأوّلا في القتال أو التّكفير لم يَكفُر بذلك".

رابعًا : ليس مِن موالاة الكفار في شيءٍ اللقاءُ بهم، أو مفاوضتهم، أو التعاون معهم على مصلحة مشتركة فيها خير للمسلمين، فهذه الصور وأشباهُها لا تدخل في موالاة الكفار أصلاً، فضلاً عن جعلها مِن الموالاة المكفّرة، فضلاً عن تكفير المعينين بها مِن أفراد وجماعات.

نسأل الله أن يبصرنا بديننا، وأن يجنبنا الفتن، وأن يثبتنا على الطريق المستقيم.

والحمد لله رب العالمين

هو العالم الفقيه الصالح الداعية المربي فضيلة الشيخ محمّد هشام بن الشيخ محمّد سعيد برهاني.

والشيخ رحمه من مواليد دمشق عام ١٩٣٢.

وله من الأولاد ستة:ذكران وأربعة بنات، وكلهم متخرجون ومتزوجون.

ابنتاه الكبرى والصغرى من خريجات كلية الشريعة بدمشق، ويحفظن كتاب الله تعالى، وولداه الأكبر مهندس زراعي هو إمام وخطيب جامع التوبة بدمشق، والأصغر مهندس كمبيوتر، وهو الأخ الكريم بلال .

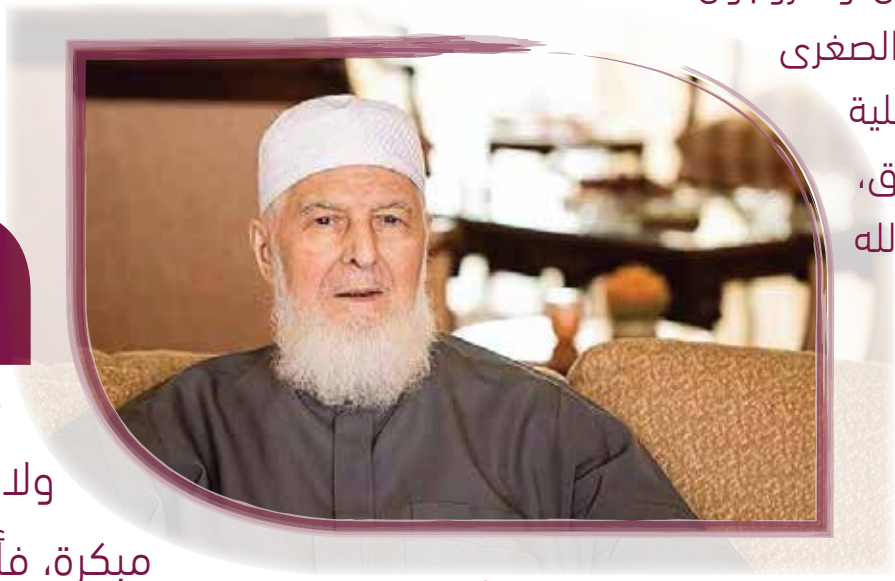

نشأته

نشأ بسويقة ساروجة، زقاق النوفرة، بدمشق، في حجر والده الشيخ محمّد سعيد برهاني، الفقيه الحنفي والمرشدُ للطريقة الشاذلية بعد شيخه العلامة العارف السيد محمد الهاشمي.

عائلة البرهاني

وعائلة البرهاني من الأسر الدمشقية العلمية التي توارث أبناؤها العلم والمعرفة والصلاح والتقوى

جاء جدها الأول العلامة المرحوم الشيخ ملا علي الداغستاني البرهاني مهاجراً من أذربيجان إلى تركيا، ثم إلى حلب ،ثم إلى المدينة المنورة، ثم استقر به المقام في دمشق الشام ، فعُهدَ إليه التدريس تحت قبةِ النسر في الجامع الأموي.

تعرفه على أكابر العلماء

صحب والده ولازمه منذ سنٍّ مبكرة، فأفاد من ذلك شيئاً عظيماً، وأتيح له ما لم يُتح لأمثاله وأقرانه، حيث تعرف على أكابر علماء ذلك العصر عند زيارة والده لهم أو حضوره لمجالسهم ، ومن أشهرهم: الشيخ عبد القادر الاسكندراني، والشيخ صالح الحمصي، والشيخ شكري الأسطواني،والشيخ عبد الله المنجد، والشيخ محمود السيد، والشيخ عزيز الخاني، والشيخ محمود سعيد الحمزاوي، وأمثالهم.

شيوخه

استقى من معين والده الكثير، وممن عاصرهم من الأفاضل المشهورين أمثال: الشيخ محمد أبي الخير الميداني (رئس رابطة العلماء)، والشيخ عبدالوهاب الحافظ (الشهير دبس وزيت)، والشيخ السيد محمد الهاشمي التلمساني، والشيخ محمود ياسين، والشيخ حسن حبنكة الميداني، والشيخ السيد المكي الكتاني، والشيخ زين العابدين التونسي، والشيخ صالح الفرفور، والشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ أديب الكلاس، وأمثالهم .. فقرأ العلوم الشرعية وعلوم الآلة، في مراحل متباينة من تحصيله العلمي.

مسيرته العلمية في المدارس الرسمية

درس سنة واحدة من التعليم الابتدائي في مدرسة دوما، حيث كان والده مدرساً فيها، هو والشيخ بدر الدين عابدين، ثم انتقل إلى مدرسة الوليد بن عبد الملك لسنة أخرى، ثم إلى المدرسة التجارية العلمية، عند الشيخ محمود العقاد، ومنها حصل على الشهادة الإبتدائية.

ثم انتسب إلى الكلية الشرعية بزقاق النقيب، يوم كان مديرها الأستاذ المرحوم سليم الجندي، سنة العدوان على سوريا ، وانقطعت الدراسة بسببه.

بعد خروج المحتل الفرنسي من سوريا، أُنشئت مدرسة "ابن خلدون"، وكانت تسمى: "الثانوية الثالثة"، فدرس فيها إلى الصف الثامن، انتقل بعدها إلى ثانوية أمية بالبزورية، وفيها نال الشهادة الإعدادية ثم انتسب إلى "التجهيز الأولى"، وفيها نال الشهادة الثانوية، ثم أهلية التعليم عام ١٩٥٢ م من دار المعلمين وكان الأول على الصف الخاص، درّس بعدها في مدرسة التطبيقات المسلكية (مدرسة هنانو) لشهر، انتقل بعدها إلى دار المعلمين بوظيفة "أمين مخبر" ظلّ فيه إلى أن أوفد إلى كلية الشريعة بدمشق.

في العام ١٩٥٢م بعد الشهادة الثانوية ابتدأ حفظ القرآن الكريم على فقيه دمشق ومقرئها، الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الشهير بالحافظ، ثم توقف عند ثلثيه حين انخرط بالعمل العام ، لكنه عاد فتفرغ مدة شهر واحد حتى أتمه بحمد الله.

أساتذته في كلية الشريعة

تخرج في كلية الشريعة في العام ١٩٥٨-١٩٥٩ م، وأساتذته فيها: الدكتور مصطفى السباعي (أحوال شخصية)، والشيخ محمد المبارك (نظام الإسلام)، والدكتور معروف الدواليبي (الأصول)، والشيخ أحمد السمان (الاقتصاد)، والدكتور عدنان الخطيب (العقوبات)، والسيد عمر الحكيم (حاضر العالم الإسلامي)

والدكتور أحمد فهمي أبو سنّة (فقه وأصول)، والشيخ محمد المنتصر الكتاني (الحديث)، والشيخ حسين شعبان، والدكتور سعاد جلال (الفقه الحنفي)، والشيخ مصطفى الزرقا (المدخل الفقهي ونظرية الالتزام)، والشيخ أبو اليسر عابدين (نحو وفقه)، والأستاذ صالح الأشتر (نحو)، والشيخ زكي عبد البر (فقه حنفي)، وآخرون.

أقرانه في الدراسة

الدكتور محمّد عجاج الخطيب، والشيخ عبد الرؤوف الحناوي، وكان الثلاثة في السنوات الأربع يتسابقون على الرتب الثلاثة الأولى، وكانوا من أوائل الخريجين.

تدريسه وأعماله العلمية

أثناء دراسته في كلية الشريعة درّس في دار الحديث بالعصرونية يوم كان الشيخ محمود الرنكوسي مديراً لها، كما درّس سنة في معهد التمدن الإسلامي.

عيِّن بعد تخرجه مدرساً في ثانويات السويداء ثم نقل معيداً في كلية الشريعة عام ١٩٥٩-١٩٦٠م.

أثناء وجوده معيداً في كلية الشريعة شارك بالتدريس وأعمال موسوعة الفقه الإسلامي، وإخراج الفهرس الأبجدي لمسائل كتاب "المحلّى في الفقه الظاهري"بالتعاون مع الشيخين الفاضلين: عبد الفتاح أبو غدة، ومحمد المنتصر الكتاني ، وقد صدر المعجم في مجلدين.

إتمام دراسته بمصر

في العام ١٩٦١م أُوفد إلى مصر - كلية دار العلوم في القاهرة، لمتابعة دراساته العليا، حيث نال الماجستير في الشريعة الإسلامية بدرجة ممتاز، وكان موضوعها "سد الذرائع في الشريعة الإسلامية"، بإشراف الأستاذ الدكتور "مصطفى زيد"، وطبعتها دار الفكر بدمشق.

تدريسه في كلية الشريعة

عاد في العام ١٩٦٨م إلى دمشق مدرساً في كلية الشريعة، وشارك في التدريس لمادة الفقه (للسنة الأولى)، ونظرية الالتزام والأصول (للسنة الرابعة)، والتفسير(للسنة الثالثة)، والمدخل الفقهي (للسنة الثانية)، وفي كلية التربية أشرف على طلاب التطبيقات المسلكية لمدة ثلاث سنوات.

إقامته بالإمارات وأعماله العلمية والدعوية

في العام ١٩٧٥م إلى ١٩٩٣م أعير إلى دولة الإمارات العربية المتحدة للعمل كخبير للبحوث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف وكبيرٍ لوعاظها، واستمر في العمل هناك مدة ثمانية عشر عاماً، درَّس خلالها في "جامعة العين" بدولة الإمارات العربية، مادة الفقه والفكر الإسلامي، وكان عضواً فنياً في اللجنة الدائمة لمشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم

ومثّل دولة الإمارات في أعمال مجمع الفقه الإسلامي بجدة سنوات عديدة،كما شارك في لجان التحكيم الدولية لمسابقات القرآن الكريم (حكم دولي) في كل من السعودية وماليزيا وتركيا وإيران، وفي مؤتمرات وندوات ودورات عالمية وإقليمية.

عودته إلى دمشق

في العام ١٩٩٣م عاد إلى دمشق وإلى كلية الشريعة محاضراً يدرس الفقه حتى العام ٢٠٠٤ م.

كلف في العام ١٩٩٧م خبيراً في الشؤون الشرعية في قسم القانون لهيئة الموسوعة العربية، وشارك في كتابة عدد من موضوعاتها.

كلّف في التدريس العام في المسجد الأموي بدمشق، إضافة إلى دروسه العامة في جامع التوبة، في الفقه والسيرة والحديث والتصوف .

أهم مؤلفاته العلمية

- سد الذرائع في الشريعة الإسلامية
- علم تجويد القرآن الكريم
- المختصر في علم التجويد
- الأدب المفرد للبخاري – تحقيق
- سلسلة رسائل في العبادات: الصلاة / الصيام / الزكاة / الحج.
- فقه الصيام على المذاهب الأربعة (بالاشتراك)
- فهرس أبجدي عام لموسوعة الفقه الظاهري "المحلى لابن حزم" (بالاشتراك)
- الظاهري "المحلى لابن حزم" (بالاشتراك)
- مذكرة الفقه الحنفي لطلاب السنة الأولى في كلية الشريعة بجامعة دمشق
- مناسك الحج على المذاهب الأربعة
- مناهج مراكز زايد لتحفيظ القرآن الكريم ثمانية مراحل (بالاشتراك).

موقفه من الأحداث الأخيرة ووفاته

آثر الصمت في الأحداث الأخيرة في سوريا، ولازم مجالس النصح والتذكير والذكر في جامع التوبة، وكان يبذل جهده في إغاثة الملهوفين ، والدفاع عن المستضعفين ، وكان شديد المقت للعلماء المتزلفين للحاكم الغشوم، وقد أكرمني الله بلقائه في موسم الحج ١٤٢٤ بمكة المكرمة، ثم لقيته أخيرا في قطر في زيارته لبعض أقربائه قبل سنتين، وجالسته عدة مجالس ، استفدت فيها من هديه وحكمته وبصيرته، وكان - رحمه الله تعالى- نموذجا في الصبر والثبات ووضوح الرؤية وسلامة المنهج .

توفي فضيلة الشيخ صباح يوم الأحد ١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥ الموافق ٢٧ نيسان (إبريل) ٢٠١٤ عن ٨٤ عاما هجريا. رحمه الله تعالى وأثابه رضاه .

هل سيأتون الليلة؟

قصة لـ : جميل قدري

(موقع الحوار المتمدن، العدد ١٥٩٦، ٢٠٠٦)

هذه أحداث حقيقية حدثت معي في عام ١٩٨٠ وقد تم تغيير الأسماء للضرورة فقط.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ليلاً، عندما بدأ قلبي بالانقباض كسائر أفراد العائلة، حيث أخذت أمي بالتساؤل برعب: هل سيأتون هذه الليلة؟ .. كعادتهم في منتصف الليل يدقون الباب كالوحوش ويدهم على جرس الباب، آه من صوت ذلك الجرس اللعين، كم أكره صوته عندما يدق ولا يتوقف، حيث أعرف أن عناصر المخابرات ستتدفق إلى بيتنا كالبغال بمجرد أن نفتح الباب. قلت لأمي: إن شاء الله لن يأتوا، فقد كانوا هنا منذ يومين عندما جاؤوا يسألون عن أخي كمال، وقبلها بأيام ثلاثة كانوا للسؤال عن أخي جمال. ولتغيير مجرى الحديث، قام والدي بتشغيل التلفاز (وكان آنذاك عرض مسرحية "المتزوجون" المصرية لسمير غانم) وها هي الضحكات تنطلق من مشاهدي المسرحية، لكن بالتأكيد حتى ابتسامة لم تصدر عن أمي التي كانت تنظر إلى الساعة لحظة بعد أخرى، ويدها تمسك بحجابها الذي اعتادت أن تلبسه بسرعة الريح قبل أن يدخل الوحوش إلى بيتنا.

ومضت ساعتان .. وفجأة دق جرس الباب اللعين كالعادة في مثل هذا الوقت بلا توقف، يصاحبه طرق عنيف على الباب باليد وركل بالأقدام .. ارتعدت أمي وصاحت: جاؤوا! واندفع أخي سعيد ليفتح الباب، وخلال ثانية واحدة كان بيتنا مليئاً بوحوش المخابرات السورية بكامل عتادهم، وكأنهم على خط الجبهة الأول. انطلقوا يفتشون البيت زاوية زاوية، في حين كنا أنا وأمي وأبي، وأخي سعيد وأختي الصغيرة ذات الخمسة أعوام، نقف بجانب الجدار ممنوعين من الحركة. وبعد دقيقة كأنها سنة، سألوا أبي: أين جميل؟ سقط قلبي بين قدمي من هول المفاجأة، بالرغم أنني قد شهدت خلال الشهور الماضية أكثر من ٢٠ مداهمة ليلية لبيتنا كان السؤال فيها عن أخوتي كمال وجمال، لكن الوضع هذه المرة مختلف فالسؤال عني أنا!

كنت أبلغ من العمر آنذاك ١١ عاماً، نعم يا سادتي أحد عشر عاماً، وها أنا ذا أكتبها كتابة ورقماً حتى لا تظنوا أن في الأمر خطأً مطبعياً. أعاد الوغد السؤال ثانية وهو يصرخ: "ولك قل لي أين جميل؟"، فأشار أبي إلي بإصبعه وقال لهم: هذا جميل، ماذا تريدون منه؟! إنه طفل صغير!. ونظر الضابط إليّ مصدوماً حائراً وابتعد عنا خطوات باتجاه المطبخ، وأخرج جهاز اللاسلكي واتصل برئيسه قائلاً: سيدي جميل هذا ولد صغير!! وجاءه الجواب مباشرة: عندما قلت لك أحضر جميل لم أقل لك جميل ولد كبير أو ولد صغير، قلت لك أحضر جميل "يالله جيبو بسرعة".

كان الحوار مسموعاً واضحاً، فبدأ أبي يتوسل إلى الضابط ويرجوه أن يأخذه بدلاً عني، إلا أن الضابط دفعه جانباً وتقدم باتجاهي قائلاً: "البس برجلك وامشِ معي، يالله بسرعة تحرك". عاد أبي يتوسل وأمي تبكي وتصيح، إلا أن الضابط قال لهم وهو يظن أنه يطمئنهم: "لا تخافوا رح يروح معنا ٥ دقائق وبنرجعو لعندكم"، ناسياً هذا الوغد أن الصغير والكبير في بلدنا أصبح يعرف خمس دقائقهم تلك التي لا تنتهي أبداً.

لم يسمحوا لي بتغيير ملابس النوم، بنطلون البيجاما وفوقه فانيلا صيفية، فقط سمحوا لي بلبس "شحاطة" بلاستيكية، انظروا إلى هذا الكَرَم. ونزلت معهم إلى السيارة، بل السيارات، والدهشة تعقد لساني، وعيوني تلتفت في كل الاتجاهات. وبدأ عناصر المداهمة بالتجمع حول السيارات، وانطلقت إشارات مصابيح بطارياتهم ترسل إشارات خاصة إلى سطح عمارتنا تشير لمن فوقها بالنزول، فقد انتهت الحرب، عفواً المهمة. كان عددهم كبيراً جداً، كانوا منتشرين في كل مكان، فهم قد جاؤوا للقبض على "الزعيم الأوحد" (هذا ما قاله صديق ابن عمي، حيث قال له: كنت ماراً في منتصف الليل في حارتكم ووجدت المخابرات في كل مكان وعلى أسطح ٣ عمارات، و٤ سيارات، والوضع غير طبيعي. فقلت في نفسي: إنهم سيقبضون على "الزعيم الأوحد"، فرد عليه ابن عمي: نعم .. نعم لقد قبضوا فعلاً على الزعيم الأوحد، وهو ابن عمي جميل ابن الأحد عشر عاماً).

اندست العناصر داخل سياراتهم ووضعوني في سيارة "بيجو ستيشن ٥٠٤"

والتي مجرد رؤيتها لأي سوري تزيد من دقات قلبه، جلس في المقعد الأمامي رئيسهم وبجواره السائق، وحشروني بين وغدين على اليمين واليسار في المقعد الأوسط، بينما جلس ٣ عناصر في الستيشن وبابها مفتوح وهم يمسكون برشاشاتهم (هذا التوصيف لمن لا يعرف المخابرات السورية، أما من رآهم فهو يعرف كيف يجلسون ويتجولون في أرجاء المدينة). أما السيارات الثلاثة الأخرى فقد كانت عبارة عن بيك آب (شاحنة صغيرة) جلس فيه اثنان بجانب السائق وواحد في الصندوق الخلفي والسيارة الثالثة من نوع "رنج روفر" إحدى أشهر سيارات المخابرات، وكانت مليئة، حيث تتسع لـ ١٠ عناصر، وخلفنا كانت تسير السيارة الرابعة، وهي سيارة "جيمس" لـ ١٢ عنصر أيضاً. وتحرك الموكب ومعه "الزعيم الأوحد" الذي دوخ البلاد والعباد، والذي احتاج لـ ٤ سيارات مليئة بـ ٣٣ عنصر للقبض عليه.

وانطلقت السيارات تهوي باتجاه مبنى المخابرات العسكرية في حلب

وفي الطريق انطلق صوت لاسلكي الضابط طالباً منه المرور بمنطقة شارع العزيزية لإحضار ضحية أخرى، وانعطف الموكب وتكررت العملية أمام ناظري، وتدافع الوحوش إلى الأسطح والعمارات، وعادوا برجل معصوب العينين وأدخلوه سيارة البيجو ليرموه بجانبي. ومضى الموكب إلى فرع المخابرات العسكرية في السريان، وحال وصولنا أخذني رئيس المداهمة إلى ضابط كبير، وبدأ يسألني عن أهلي وعن إخوتي جمال وكمال وأين هم الآن، وأنا أجيبه: لا أعرف .. ضاق بي ذرعاً، وبعد قليل رن هاتف بجانبه، ومن ثم ضغط جرساً بجانبه ليأتي عنصر طلب منه أن يأخذني لـ "المعلم"، وانطلق بي عبر سلالم حتى وصلنا إلى جناح فاخر، طرق على الباب وأدخلني، شعرت برجفة اجتاحت عظامي، فقد كان المكتب مكيفاً بارداً وأنا بملابس النوم. تمالكت نفسي، دارت عيناي في أرجاء المكتب، كان واسعاً جداً، طويلاً جداً، يجلس في صدره رجل ضخم أصلع، أمامه مكتب ضخم وبجانبه أكثر من ١٠ تلفونات

أما المفاجأة الكبرى فقد كانت لوحة ضخمة فوق رأسه مكتوب عليها آية قرآنية كريمة: "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" يا للمهزلة، صدقوا أو لا تصدقوا، فوق رأس هذا المعلم - الذي علمت فيما بعد أنه (..) مصطفى التاجر الذي يعرف جميع الحلبيين ظلمه، وفيما بعد كثير من السوريين والعرب بعد ترؤسه فرع فلسطين – فوق رأسه آية قرآنية كريمة عن الحكم بالعدل!

أعاد عليّ التاجر كل الأسئلة السابقة، وأجبته بأني لا أعرف شيئاً، فعلاً أنا لا أعرف شيئاً، وماذا يعرف طفل في الحادية عشر من عمره إلا اللعب والمدرسة؟ لم يعجبه جوابي، فقال لرجل يجلس عنده في المكتب: يبدو أن هذا الولد يحب أن يجرب الدولاب. ونظر إليّ، ولمّا لم يَبدُ عليَّ التأثرُ، أدرك بذكائه الخارق أنني لا أعرف حتى ما هو الدولاب، فأردف قائلاً: "شوف ولك كلب يا بتحكي كل شي بتعرفوا يا بقول للعناصر يعلقوك بالفلق ساعتين". وهنا بدأت أبكي، فالآن عرفت ماذا يقصد، فالفلق وسيلة تعليمية رائجة في مدرستنا، وأغلب الطلاب يعرفون طعمها بمن فيهم أنا.

بدأت أصيح: "يا عمو والله ما بعرف شي ولا بعرف وين إخوتي .. يا عمو الله يخليك، والله ما عملت شي". وبدا له أنني فعلاً لا أعرف شيئاً، فرن جرساً بجانبه، وقال للحرس: خذوه. أخذوني وأدخلوني إلى الزنزانة الجماعية، كانت مزدحمة بعدد كبير جداً من الرجال، الجميع يجلس وقدميه تحته حتى يفسح المجال، وسط الغرفة مليء أيضاً، لا تزيد مساحتها عن ٤×٣ أمتار؛ تحوي أكثر من ٥٠ رجلاً، كما عددتهم فيما بعد.

بقيت فيها ٥ أيام، كانت كألف ليلة وليلة بالنسبة لي، من حيث الزمن كانت ألف ليلة، ومن حيث المشاهدات والغرائب كانت كقصة ألف ليلة وليلة الشهيرة. كان فيها طالب الطب الذي كان يدرس في تركيا وعاد متخرجاً ليستقبل من المطار إلى الزنزانة، المشكلة تشابه أسماء .. المدة التي قضاها حتى سماعي قصته شهرين! فيها المهندسون والطلاب وشباب سوريون دفعهم الحماس للتطوع في لبنان ووجدوا أنفسهم في قبضة المخابرات السورية.

كان معنا شخص إيراني أذكر أنني صعقت لرؤية قدمه اليسرى وقد حفرت بتأثير الضرب عليها، حتى بانت عظام القدم والقيح يفيض منها، كان منظراً مؤلماً. كل واحد فيهم كان له قصة أكثر غرابة من أخيه.

أول ما رموني في الجماعية حاول السجناء أن يخففوا عني والسؤال عن سبب وجودي، ولكن سرعان ما فُتحت طاقة صغيرة من الباب الحديدي؛ ليزمجر سجان متوحش: "ممنوع حدا يحكي مع الولد، وإذا شفت حدا بيحكي معو رح أطالعو لعندي" .. وبدأ بذكر سباب لم أسمع له مثيلاً. كان هذا التهديد كافياً ليرعبهم ويجلسهم صامتين، ويبدو أن الخروج إلى عند ذلك المتوحش يعني الكثير، وهذا ما عرفته فيما بعد.

أذكر قصة لواحد من هؤلاء المساكين، كان يقف على المخبز يتزاحم مع الناس عله يفوز بشراء كيلوغرام من الخبز، ذلك الخبز الذي جعل حافظ الأسد شراءه بعد الساعة ٩ صباحاً حلماً .. كان يقف ذلك الرجل، وإذا بعنصر مخابرات يقف خلفه ويلمح في جيب هذا المسكين محفظته، فمد هذا العنصر يده سارقاً المحفظة، وانتبه صاحبها وبدأ يصيح: حرامي حرامي، إلا أن ذاك العنصر كان حاضر الشيطان – عفواً البديهة – فأفصح عن هويته قائلاً: "ولك يا حرامي بدك تسرق رجل أمن"؟ وبلحظات انقلب الحق إلى باطل، وأصبح المسروق سارقاً، ولم يكتف ذاك العنصر بذلك، بل صاح بالمسروق: "قدامي عالفرع يا حرامي يا ابن ..". وساق المسكين إلى الفرع، وتناوب هو ورفاقه على ضرب ذاك المسكين حتى أنهم – وأذكر ذاك جيداً – قشروا جزءاً من جلد ظهره على آلتهم الجهنمية "بساط الريح"، والأسوأ من ذلك أنهم سجلوا اسم الرجل في دفتر التفقد اليومي بـ "الحرامي"، فكان الرجل يقول حاضر سيدي عندما ينادى على الحرامي.

وقصة أخرى لعجوز يبلغ من العمر ٧٥ عاماً، وكان يشبه جدي، حين دخل السجان "مين منكم ما راح عالحمام؟"، فرفع العجوز إصبعه دون أن يقف على قدميه، فجن جنون السجان، وصاح: "بترفع إصبعك دون أن تقف يا ابن ال ..."، وانهال عليه ضرباً، "ما بدك توقف على رجليك يا .. أنا بعرف شلون أخليك تقف على رجليك".

أما ما لا أنساه أبداً، فهو صراخ تلك المرأة في منتصف الليلة الثانية لقدومي وهي تستغيث من شدة التعذيب، وتقول لجلادها: "ما عندك أم، ما عندك أخت، منشان الله"، وما يزيد ذلك اللئيم إلا أن ينهال عليها ضرباً وشتماً وسباً. لا أنسى تلك الصرخات التي تدوي في رأسي مستغيثة، وما من أحد يملك أن يساعدها إلا الله.

في اليوم الثالث طلبوا مني، وبما أنني صغير السن ولا أقدّر الأمور ولا أعرف الأشخاص، طلبوا مني أن أقوم بالمساعدة بتوزيع الطعام على زنازين المهجع الذي كان يضم حوالي ٢٠ زنزانة انفرادية وواحدة جماعية.

كنت أساعد سجيناً آخر يقوم بمهمة توزيع الطعام، ويبدو أن لهذا السجين واسطة قوية ليقوم بأعمال السخرة من تنظيف للحمامات وتوزيع للطعام، لكن بعد انتهاء مهامه يعود إلى زنزانته ليقفل الحرس عليه الباب، يطلق عليه في السجون السورية عادة لقب "الخزمجي". الطعام عبارة عن برغل منقوع ولا أظنه مطبوخاً من شكله وطعمه.

بدأنا بالتوزيع، أنا أحمل الصحون والخزمجي يدق الباب ويفتح الشباك مناولاً الصحن للسجين

وعند الزنزانة رقم ٨ فتحت نافذتها، فإذا بوجه امرأة يطل منها، فقالت للخزمجي: "أرجوك بنتي بدها تروح الحمام"،

فهمس قائلاً: "منشان الله بسرعة وبدون صوت أحسن ما أتبهدل". وفتح لها الباب، فإذا بفتاة تبلغ من العمر حوالي ١٥ عاماً تقف خلف أمها، يا إلهي كان منظراً لا ينسى، أم وابنتها في زنزانة انفرادية! انطلقت الفتاة بسرعة، وبقينا نحن ننتظرها، وحين عادت أغلق الخزمجي عليهما الباب، وتابعنا توزيع الطعام إلى الزنزانة رقم ٩، وكانت امرأة أيضاً، لكن هذه المرة كان وقع المفاجأة أكبر، فهذا الوجه وجه خالة أم وليد، جارتنا في العمارة المجاورة لنا، إلا أن وقع المفاجأة كان أكبر عليها لتراني في السجن، قالت لي: جميل ماذا تفعل هنا؟ ما الذي أتى بك إلى هنا؟ فسرت فيني موجة من البكاء والخزمجي يتوسل لي: "منشان الله اسكت أحسن ما يجي جاسم ويعذبنا"، قلت لها: "خالة أم وليد الله يخليك خلصيني من هون". طلبت من الخزمجي أن يفتح لها الباب لتراني وتتكلم معي للحظات

قالت لي: "والله يا ابني عذبوني عذاب شديد بنص الليل يا ابني هادول ما بخافوا الله، خلعوا كل ملابسي وتركوني عارية وهم يضربونني بالكابلات، ربطوا أسلاك الكهرباء بكاحلي انظر إلى أقدامي" (كانتا مليئتين بالبقع البنية بسبب حروق الكهرباء) تابعت قائلة والخزمجي يرجوها أن تسرع لزنزانتها .. قالت لي: "صحت بالسجان واستنجدت به وذكرته بأن له أختاً وأما، إلا أنه سب أمه وأخته وأمي ولم يستثنِ أحداً". قلت في نفسي: إذاً كانت تلك الأصوات في الليلة الماضية أصوات واستغاثات خالة أم وليد التي طلبت مني قبل أن يدخلها الخزمجي إلى زنزانتها أن أخبر زوجها أبا وليد عن مكان وجودها، حيث أنهم أخذوها في منتصف الليل دون أن يدري أحد إلى أين.

اختنق صوتي وأنا أنظر إليها فأرى صورة أمي فيها، والتي كان إحساسها لا يخطئ في توقع قدوم المخابرات، والتي سقطت مغشياً عليها – كما علمت بعد خروجي – عندما بدأ أهلي يسألون عن مكان وجودي، ونجحت إحدى الوساطات في إخبارهم أنني موجود في فرع المخابرات العسكرية في السريان

وعند وصول أهلي عند الحرس، قالت لهم أمي: أريد أن أرى ابني الصغير جميل، فرد عليها وغد منهم ببرودة أعصاب: "مين ابنك؟ إن شاء الله هذا الولد الصغير اللي جابوه من ٤ أيام؟"، فقالت أمي وقد تهلهل وجهها: نعم إنه هو. فتابع الخنزير كلامه: لقد أعدموه البارحة فقط. فسقطت أمي مغشياً عليها على درجات فرع المخابرات.

في اليوم الخامس وبعد اتصالات مضنية قام بها والدي، جاء الجلاد منادياً عليّ، فقمت مسرعاً،

فأخذني إلى غرفة الضابط المسؤول حيث قال لي: "الآن رح نطلعك، بس إذا بتحكي لحدا شو شفت أو سمعت ترى بجيبك لهون وما بتطلع مرة ثانية، فهمت ولك .."

قال لأحد العناصر: خذه وأوصله إلى بيته، وأخذني ذلك العنصر إلى غرفة ثانية وقال لي: "اجلس كمان شوي بتجي السيارة بوصلك"، وتأخرت السيارة، ونظرت إليه فقال لي: "بتعرف تروح لحالك؟ قلت له: نعم"، والحقيقة أنني لا أعرف أين أنا ولا كيف أصل لبيتنا، إلا أنني أريد أن أخرج من عندهم وبعدها "الله بيفرجها".

مد يده في جيبه وأخرج ليرة سورية، أعطاني إياها وقال لي "اركب بالباص وروح على بيتكم"، أخذني من يدي حتى أوصلني إلى آخر نقطة حراسة في الفرع

وبعدها انطلقت راكضاً أبحث عن شارع تزدحم فيه السيارات فيكون شارعاً رئيسياً يقودني إلى بيتنا، وسألت أول رجل قابلته في الشارع: كيف أصل إلى منطقة السبيل؟ فقال لي: بعيدة من هنا وتحتاج ركوب باصين.

ركبت الباص الأول فالثاني حتى وصلت حارتنا، كانت الساعة حوالي التاسعة مساء، ركضت إلى البيت حيث كان الجميع في بيتنا يواسي أمي المفجوعة بولدها، وكان لقاء، وكانت لحظات فرح سرعان ما تبددت عندما اقتربت عقارب الساعة من أن تتعانق عند الثانية عشرة ليلاً، حينها نظرت إليّ أمي، وقالت: هل سيأتون الليلة؟ ولم أستطع أن أنفي لها قدومهم، فقد أخطأت قبل ٥ أيام عندما أكدت لها عدم زيارتهم!

facebook

عماد السيد عمر

بدأت الجلسة بالحديث عن تفريط الصوفية، وبعد أكثر من ساعة انتقل النقاش الى تشدد السلفية، ثم احتدم الوسيط حول انشغال الاخوان بالسياسة... وكان الوقت قد تأخر، فخلدوا الى النوم ...ونادى المؤذن إلى صلاة الفجر، ولكنهم نائمون متعبون مرهقون من كثرة الكلام، والسلفية والصوفية والإخوان في الصف الأول... تصبحون على خير... لست منكراً هنا أو رافضاً للنقد البناء، ولكنها دعوة لمزيد من العمل الجاد ودعم المخلصين من كل الاتجاهات...

النائب مشير المصري

لكم الله أيّها الإسلاميون ,,
إنها مرحلة الافتراء التي أعقبت مرحلة الابتلاء وتتلوها مرحلة البشرى بعون الله
كما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام بالقمصان الثلاث ..
القميص الأول :- قميص الابتلاء
" و جاءوا على قميصه بدم كذب "
ابتلاء يوسف بالخطف و محاولة القتل مع سبق الإصرار و الترصد، والابتلاء بالبيع فى سوق النخاسة!
القميص الثاني :- قميص الإفتراء
" و إن كان قميصه قد من دبر فكذبت و هو من الصادقين "
إفتراء زوجة العزيز عليه (عليه السلام) فى شرفه، حتى و إن ثبت بالدليل القاطع براءته ! فقد سيق به إلى غيابات السجون!
القميص الثالث :- قميص البشرى و الفرج
" اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً "
القميص الثالث الذى كان سبباً فى رجوع بصر النبى يعقوب عليه السلام ، بعد الابتلاء و الافتراء جاء الفرج
مررنا بقميص الابتلاء قبل الربيع العربي، و الافتراء الآن، وننتظر قميص الفرج ..
يقول ابن القيم " من شك في موعود الله ، فكأنما أتى كبيرة من الكبائر " ,,

بالطبع هناك مَن جمع ثروات باسم الإغاثة على حساب الشعب السوري .. لكن في المقابل هناك شباب مخلصون حقاً .. متفانون حقاً .. متبرعون بالجهد والمال والوقت ليساعدوا السوريين في هذه الأزمة الإنسانية غير المسبوقة ..

أنصح نفسي .. وأنصح كل صديق يبحث عن جهة أمينة لإيصال تبرعاته إلى من يستحق أن يثق بهؤلاء الشباب ..

Mustafa Alloush

وما زلت مقتنعاً بأن الخطيئة الكبرى للإنسان هي العجب (بضم العين) .

وكل ما بعدها من آفات هي من آثار هذا المرض الخبيث .

Utbah Ghadban

يمكنك أن "تتهرب" من ثوابتك..

لكن لا يمكنك أبداً أن "تهرب" من نتائج ذلك..

أحمد خيري العمري

بمَ يفيدنا "الأرنب السريع" إذا كان الاتجاه خاطئاً؟؟

بعضهم يشعر بالإنجاز بمجرد أنهم وجدوا الوسيلة ومضوا فيها، "وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا"...

رشيدة الرشيد

”سئل أحد العلماء:

إذا أنعم الله على الإنسان بنعمة كيف يعرف إن كانت فتنة أم نعمة؟

فقال: إذا قربته إلى الله فهي نعمة وإذا أبعدته عن الله فهي فتنة“